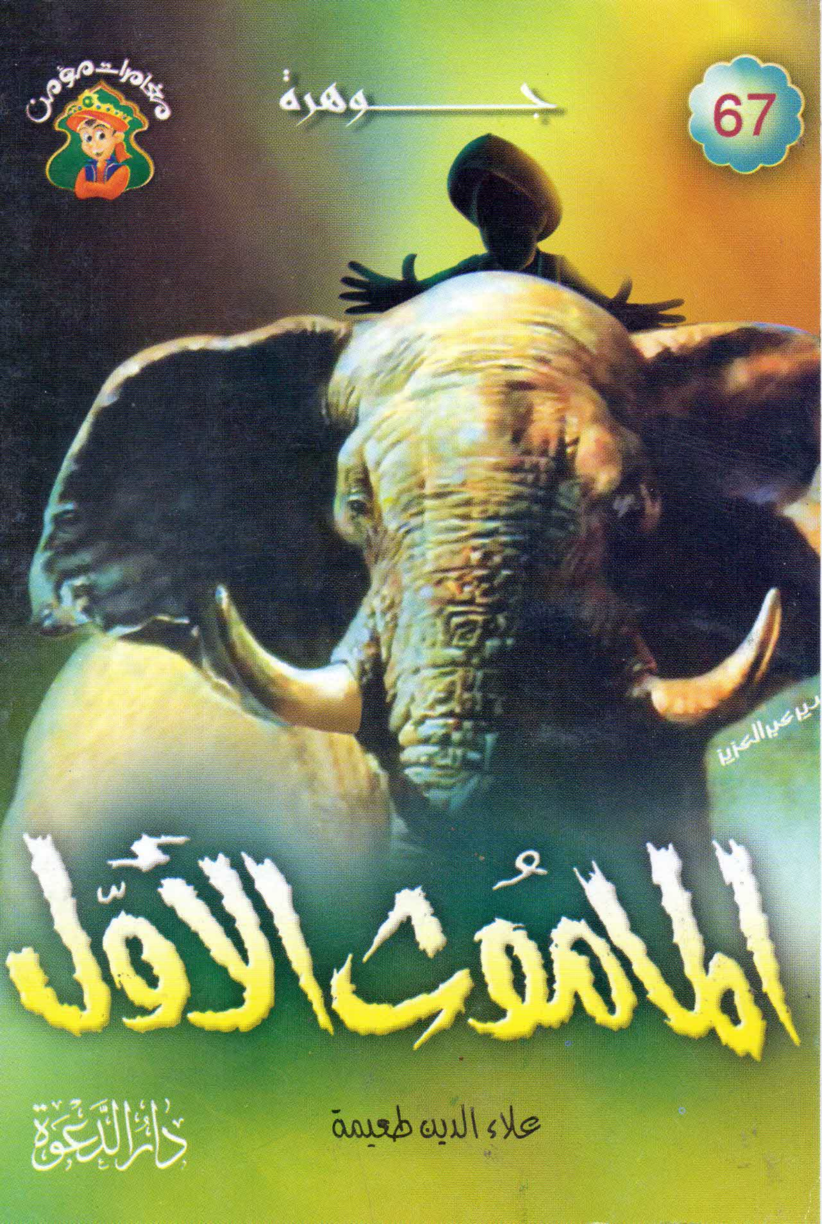

مغامرات مؤمن
جوهرة
67
الماموث الأول
علاء الدين طعيمة
دار الدعوة





- أغرب الرحلات والمفارقا
- تجمع بين المتعة والمعرف
- لاغنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلا



٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفاكس: ٣٩٠١٩١٤ — ٣٩٠٧٩٩٨ / ٠٣

مغامرات عجيبة جداً

جوهـــرة الماموث الأول

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع القانونى: ١٨٩٤ / ٢٠٠٧م
الترقيم الدولى: x - 424 - 253 - 977

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

٢ شارع منشا - محرم بك - الإسكندرية

تليفون: ٣٩٠١٩١٤ - فاكس: ٥٩٠١٦٩٥

مغامرات مؤمن

جوهرة الماموث الأول

تأليف:

علاء الدين طعيمة





مغامرات عجيبة جداً..

قمة الفرح أن يعثر الإنسان على تاج أثرى عتيق خال من الجواهر، ولكن تكون قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعى للعثور على جواهر هذا التاج، إنه يسافر فى رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار، فيتعرض للأخطار والأهوال ويرى نماذج غريبة من البشر وعجائب من الإنس والجن والأحياء والأموات، وفى كل مغامرة -بعد العناء والصراع مع المكان والزمان- يفلح فى إضافة جوهرة جديدة إلى التاج.

بعدما أنهى مؤمن مغامراته الأخيرة واستقل مركبته الفضائية العجيبة والتى كما عرفنا من قبل تستطيع أن تتجول فى الزمن عن طريق جهاز يمكّنها من ذلك.

ويبدو أن شيئًا ما يحدث.. هل هو لم يتمكن بعد من معرفة الطريقة الصحيحة لتشغيل الجهاز.. أم أن به خللاً طارئًا.

فعندما أراد أن يعود من الزمن المتقدم عائداً إلى الزمن الأصلى له، فوجئ بأن المركبة تتعدى زمنه وترجع مسافة كبيرة جدًا، حتى فوجئ بأن عداد الزمن يتعدى الميلاد مسرعًا للخلف إلى آلاف السنين.

- يا إلهى.. يا إلهى أين أذهب.. توقفى.. توقفى أيتها المركبة.. توقفى أرجوك.

وبعد قليل من الوقت.. ومن الحركة العنيفة المجهدة.. هدأ كل شىء وذهل عن النظر فى العداد بما يراه أمامه من النافذة.

لقد حطت المركبة فى عصر قديم.. عصر عتيق.. لم يحلم الإنسان الحالى برؤيته على حقيقته أبداً.

ونزل من المركبة فى واد حجرى.. يكسو الجليد أرضه إلا من بعض الصخور العالية.

- يا إلهى.. أين أنا.. وكيف جئت إلى هنا؟

عاصفة رهيبة.. عاتية، لها صفير وزمجرة تصم الآذان.. الوقت نهار.. الرؤية شبه معدومة.

لم يعجبه الحال.. عاد يجرى والريح تصفح وجهه ودخل إلى المركبة.. وأراد وهو يضغط على الزر أن يرجع إلى زمنه.. لكن فوجئ بأن الجهاز يعطيه معلومة مكتوبة على الشاشة:

«عذراً.. لا يمكن إعادة تشغيل جهاز الزمن إلا بعد مرور عدة ساعات حتى يتمكن من إتمام الشحن الذاتى للبطارية الرئيسية»

– عدة ساعات.. عدة ساعات.. يا إلهى.. أيجب علىّ أن أظل فى هذا المكان الموحش كل هذا الوقت.

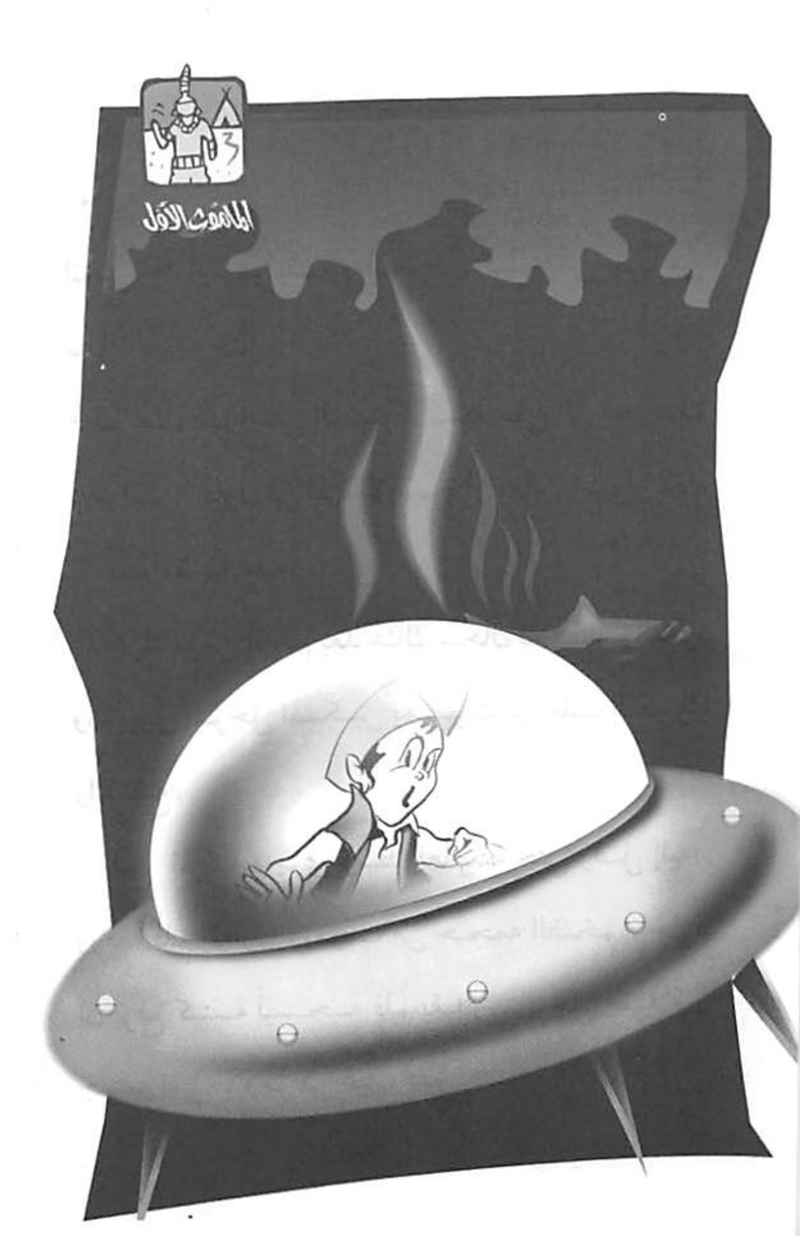
آثر أن يجلس فى المركبة لتمضية الانتظار الطويل.. متحاشيًا أن يخرج كى لا يصيبه البرد.. وأن

يشخص بصره فى النافذة الأمـامية.. يراقب عصراً لم يلحق بـه حـتى الجـد المائة له.. بل ولا الجــد الألف أيضًا.

ومرت ساعة وهو يقـطع وقته بالتسبيح والتـحميد.. وكاد أن ينعس وهو جـالس فى الدفء.. ولما فتح عـينيه فجأة.. رأى وسط العاصفة شبحًا يترنح.

اعـتدل ومـد رأسـه للأمـام.. ومسح زجـاج النافـذة براحـته من الضـبـاب، ودقق النظر.. وحـاول أن يتبـين وسط الجو المعكر بالجليـد والبرد الذى ينهمر فـى سرعة دوامية ما الذى يتحرك عن بُعد.

واعتدل أكثر.. واقترب من النافذة أكثر.. فرأى شبح رجل كأنه يتـرنح.. يسيـر ولا يكاد يقوى على السـير..


الملف الأول

انحنى للأمام وهو يقاوم السقوط.. كأنه يأتى جريًا من مسافة بعيدة جداً.

- لم يعد قادراً على السير.. سقط على الأرض عدة مرات.. حاول فى المرة الأخيرة أن يعاود المشوار لكنه سقط مغشيًا عليه.

أدرك مؤمن أنه لم يعد هناك مجال للانتظار والقعود وهو يرى الرجل المسكين يموت فى قلب العراء والصقيع.

فتح المركبة وجرى وسط العاصفة حتى وصل إليه.. ورفعه فلم يقدر.. وتعجب من حجمه الضخم.. حاول أن يرفع كتفه ليسحبه فلم يقدر.. الرجل عملاق.. جسمه ثقيل.. وهو فى غير وعيه.

وقف حائراً.. عـاد يجرى للمركـبة.. أحضـر قارورة مـاء.. حـاول أن يسـكب منهـا على وجـه الـرجل لعله يفيق.. لكنه كان فى واد آخر.

جـاءت لمؤمن فكرة.. جرى إلـى المركبـة.. وأحضـر منهـا كابلاً من الحـديد يستـخدم لجر ورفع الأثـقال عن طريق موتور بداخل المركبـة وهو يشبه ذلك الحبل الذى تستـخـدمـه طائرات الهليكوبتـر فى الإنقـاذ.. وجـرى بطرف الكابل وأحـاطه به من تحت إبـطيه وعـاد يجـرى للمركبة وأدار الموتور، فقام بسحب الرجل الضخم حتى الباب.. وبذل جهداً شـديداً حتى استطاع أن يدخله إلى الدفـء.

وعلى الفور قـام بإخراج حـقيبـة الإسعافـات الأولية وعمل على إنقاذ الرجل قبل فوات الأوان.

وبعد جهد فتح الرجل عينيه.. ونظر فى عينى مؤمن ثم قـام واقـفًا فـاصطدم رأسـه بسـقف المركـبـة لطوله الفاره.. فسقط مغشيًا عليه مرة أخرى.. وضحك مؤمن فى هذه المرة.. وأخذ يعـالجه حتى عـاد إليه وعيـه وقال له:

- أرجوك.. لا تقف.. فأنت أطول من ارتفاع المركبة.

نظر الرجل حوله.. وأخـذ يتأمل المركـبة فى ذهول.. وظن أنه مات وانتـقل إلى حياة الآخرة وأنه لا عـلاقة له بالدنيا.

لكن لما نظر إلى النافذة ورأى بيته كما هى.. وشاهد

عصاه التى تركها مكان وقوعه.. أدرك أنه مازال على قيد الحياة.

- من أنت.. وكيف جئت إلى هنا.. وما هذا البيت الغريب؟

ضحك مؤمن وقال له:

- أنا مؤمن.. وجئت هنا بواسطة هذا البيت الذى يمكنه التنقل.

- التنقل!.. شىء عجيب.. غريب.. هل أنت من الجن؟

- لا.. لا.. أنا إنسى مثلك.. دعك منى وأخبرنى.. لماذا تمشى فى هذا الجو العاصف.. حتى عرضت نفسك للموت؟

- يا إلهى.. يا إلهى.. لابد أنها قد ضاعت.. ضاعت.

وأمسك مؤمن من عنقه بشدة صائحًا فيه:

- قل لى.. قل لى.. كم مضى علىّ من الوقت حتى الآن وأنا مغشى علىّ؟

- لا شيء.. وقت بسيط.. حوالى ساعة.. ألا تعرف الساعة؟

- ساعة؟!.. أى ساعة.. هل طلع علىّ النهار ثم أتى الليل؟

- لا.. لا.. اطمئن وقت بسيط.. بسيط.. اتركنى.

- معذرة.. معذرة.. ما ينبغى أن تكون هذه هى طريقة شكرى لك على صنيعك معى.. لكن التمس لى العذر يا مؤمن.. فأنا فى محنة شديدة.. ويبدو أن الوقت قد فات.. وذهبت إلى غير رجعة.

وأخـذ الرجل يبكى بكاءً مـرًا.. بصوت رهيب كـأنه انفجـار البراكين.. ونظر مؤمـن للمركبة وهى تهـتز من بكائه العنيف وحاول أن يفهم:

- مالـك يا أخى.. مالك.. مـاذا بك.. لماذا تبكى؟.. لماذا تبكى؟.. اهدأ من فضلك.

- المرأة التى أردتهـا لنفسى.. المرأة الـتى أحـبـبـتـهـا وأحـبـتنى.. خطفـهـا منـى شكشـون الملعـون.. لقـد خدعنى.. خدعنى.. آه آه آه.. آه آه آه.

حـاول مـؤمن أن يهـدئ من روعــه ويفـهم جـمـيع القصة.. لكن الرجل أراد أن يفـتح الباب ويعود للجرى وراء حبيبته.. وحاول مؤمن منعه.

- إياك.. أنت مـازلت متـعـبًا يا أخى.. وسـتـسقط بعـد

قليل.. اشرح لى الأمر كله بهدوء.. عسى أن أساعدك.

- إنها البتراء.. البتراء حبيبتى.. تقدمت لخطبتها وعرف الجميع ذلك.. وباركوا لنا ذلك.. وتم عقد الزواج.. كان شكشون ابن عمها.. لم تكن تحبه.. حاول أن يقتلنى من قبل حتى يأخذها لنفسه.. شكشون ذو قوة وبأس.. ولديه عبيد كثير.. وله رجال يناصرونه.. هدد والدىّ «البتراء».. وتوعدهم بالأذى.. وقام بقتل رجل واتهم والد البتراء بقتله وأحضر من رجاله من شهدوا زوراً على والدها حتى وضعه رئيس العشيرة فى السجن.

وعرف رجال العشيرة بالظلم الواقع على والد البتراء.. وتجمعوا على شكشون ليقاتلوه.. فغافل الجميع بالليل وهرب هو ورجاله بعد أن اختطف البتراء من عقر دارها. قبل أن تزف إليَّ.

وعدت من الحقل لأسمع الخبر.. حملت عصاى وجريت وراءه.. أخبرنى رجل أنه رأى شكشون ورجاله يتجهون إلى النهر الذى تموت الشمس عنده.. وأدركت أننى لن أتمكن من عبور النهر خلفه.. لهذا فأنا جريت وجريت وجريت.. لكن شاء الله ألا ألحق به.. وضاعت البتراء.. ضاعت البتراء.

تنهد مؤمن.. وذهب لمقعده وجلس وهو يقول حزينًا:

- يا لها من حكاية يا.. يا..

- اسمي طاهر.. طاهر يا مؤمن.

- حكايتك عجيبة ومؤلمة يا طاهر.. لكن.. لكن.. ما الذي يمنعك من عبور هذا النهر الذي تقول عنه إنه.. إنه.

- النهـــر الذي تمـــوت الشمس فيـه.. إنـــه نهر كبيـــر يا مـؤمن.. فـــيـه تيـار عنيف.. لا يقـــدر إنسـان على خوضه أو عـبوره إلا إذا كان معه من يعـاونه.. يحتاج إلى رجال كثيرين.. أما أن يـعبره رجل بمفرده.. فهذا سـيلقى حتـفه لا مـحالة.. حـتى لو كان مـعه قـارب شديد.

- شيء عجـيب.. وبعد ذلك.. أيـن سيذهب شـكشون باعتقادك؟

- لا يهم أين سيذهب.. المهم أنه اختطف البتراء.. وساعتها لا توجد قوة على الأرض تستطيع انتزاعها منه.

- لماذا.. لماذا يا أخى إذن؟

لأن المدينة التى ذهب إليها تعتقد أنها زوجته، وسوف يشهد عبيده بذلك، ولن يصدقنى أى إنسان هناك.

- يا إلهى.. ما هذا الهراء.. لا يرضى الله عن ذلك..

- إذن.. دعنا الآن فقط نحاول إدارة هذه المركبة لنصل إلى شكشون هذا ونستعيد البتراء.

- ماذا؟.. وهل ذلك ممكن يا مؤمن.. قل لى.. هل هذا ممكن؟

- بإذن الله.. اجلس ولا تتحرك.. وعندما نصعد لأعلى

لا تخف وأخبرنى فقط عن المكان الذى سنذهب فى اتجاهه.

كان النهار على وشك الرحيل، وطاهر يصرخ من الخوف والمركبة ترتفع لأعلى.. وجلس على أرضية المركبة والتصق به وهو خائف.

- يا طاهر.. لا تخف.. لا تخف.. قم حتى تخبرنى عن الاتجاه إلى النهر.

- لا لا.. أنزلنى.. أنزلنى يا مؤمن.. أكاد أموت رعبًا.

يا لهؤلاء القدامى.. لم ير أحد ما رآه طاهر.. ولن يتمكن من تحمل الطيران.. وحاول مؤمن أن يعثر على النهر بنفسه.. لكن الأمور فى الخارج كانت بالغة السوء.. أدرك بذكائه أن النهر الذى تموت عنده

الشمس.. يعنى النهر الذى تغرب عنده الشمس.. حاول أن يتبع الاتجاه إليه.. لكن العاصفة كانت شديدة.. ولم يكن هناك أى مجال للرؤية.. حتى إن طاهر بعد قليل استطاع التعود على الأمر.. لكنه قال حائراً:

– لا أعرف.. لا أعرف.. يمكننى أن أذهب إليه وأنا على اليابسة... لكن فى الهواء لا أعرف.. لا أعرف..

– لقد وضعتنا فى مشكلة يا طاهر.. نحن لا نعرف الآن أى مكان سنهبط فيه.. ولكن علينا أن نهبط الآن.. لا أدرى.. هناك عطل فى المركبة.

كانت الشاشة التى أمامه تقول بعبارات تومض بالضوء «عطل.. عطل.. عطل»، وهبط مؤمن اضطراريًا.. حتى كاد أن يغشى عليه وعلى طاهر..

وضغط على زر يبين نوع العطل.. فوجد مكتوبًا على الشاشة:

«يرجى عدم إدارة المركبة إلا بعد أن يقوم برنامج الصيانة الذاتى بإصلاح عطل فى الدائرة الكهربائية لنظام التشغيل الرئيسى.. المسألة قد تستغرق وقتًا طويلاً».

- وقت طويل؟.. يا إلهى.. يا إلهى.. ما العمل الآن..!

ضغط على زر آخر فبينت له الشاشة نموذجًا به حصر لجميع الأعطال وزمن الإصلاح.. وعرف أن أمامه ما لا يقل عن ثلاثة أيام حتى يتمكن من إعادة تشغيل المركبة والإقلاع بها مرة أخرى.

واضطر هو وطاهر أن يخرجا من المركبة.. هو يحمل

سيفه وطاهر يحمل أقرب عصا يجدها فى الطريق.

كـان طاهر يرتدى الفـراء البنى للدببـة على خـصـره وكتفيه.. فأخذ قطعتين وأعطاهما لمؤمن وقال له:

- ارتد هذا الفراء يا مـؤمن.. فملابسـك هذه لن تنفعك فى البرد القارص..

أعجب مؤمن بالفراء.. ودخل للمركبة وبدل ملابسه بالفراء.. وعـاد يشبه أهل العـصر الحجرى.. فـراء حول خصره وفوق كتفيه بحـيث كان له كتف مستور والآخر عـار.. ويحمل سـيـفه.. فـبـدا بطلاً صغـيـراً من أبطال الأساطير القديمة.

- والآن يا طـاهر.. هل تعـــرف الاتجـــاه ونحن عـلى الأرض.. ولا نرى النجوم؟

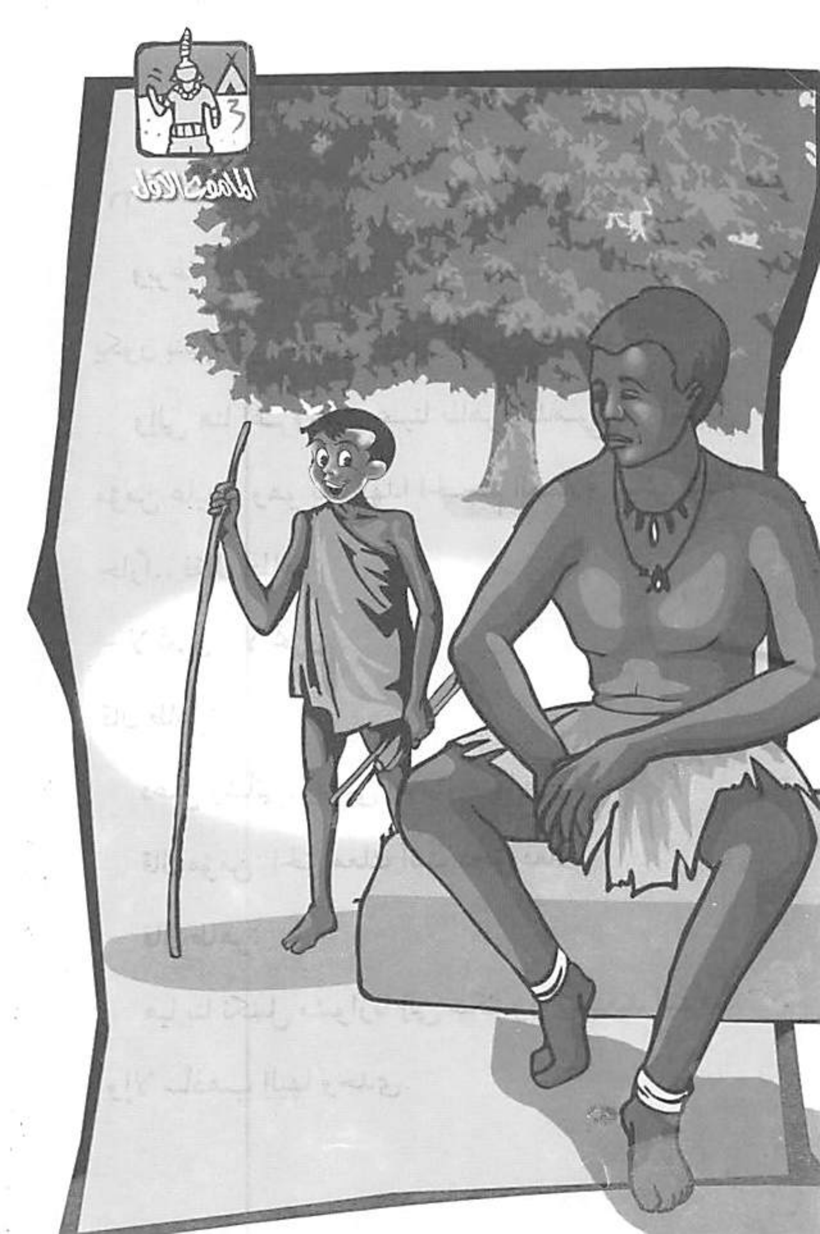
- بل أعرف.. أشم رائحة البتراء.. إن النهر فى هذا الاتجاه.

- تشم رائحتها؟!! يا للهول.. يبدو أنك كنت تحبها بجنون يا طاهر.

- أحبها أكثر من حبى للحياة.. ولا أحب شيئًا سواها.

- بل تحب.. ويجب عليك أن تحب الله أكثر من حبك البتراء.. فلن يؤمن المرء حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

كلامك يا مؤمن يشبه كلام شيخ القبيلة، فإنه من الصالحين، يصوم النهار ويصلى ويذكر الله، ودائمًا يعظ الناس بهذا الكلام الطيب.



وبرغم الجو العاصف.. جلس طاهر أرضًا حتى يكون بنظره فى مستوى مؤمن الواقف على قدميه..

وإلى هنا اغرورقت عينا طاهر بالدموع.. وأشفق مؤمن عليه.. وهو يراه بهذا الحجم العملاق يبكى بكاءً حارًا.. فقال لطاهر:

- لا تحزن.. لا تحزن..

قال طاهر:

دعنى وشأنى.. دعنى أبحث عنها وأجدها..

قال مؤمن: الحق معك أنت محق فعلاً.

قال طاهر:

هيا بنا نكمل مشوارنا إلى شكشون لنستعيد البتراء..

وإلا سأذهب إليها وحدى.

وجرى طاهر كـالمجنون يدب الأرض بقدميـه.. يفتح صدره لـلريح ويترك لشـعره الطويل أن لا يسـتقـر على رأسه.. وأما مؤمن.. فلم يكن ليتركه فى محنته..

تعب مؤمن من الركض وطاهر لم يتعب.. كم للأنثى من تأثيـر على الذكر.. لو انسـاق له ضاع.. ولو تعـامل معه بحكمة لتفادى مصائب عديدة .

حاول مـؤمن جاهداً أن يحـدد مكان المركبـة ويحفظ تضـاريس المكان الذى ينطـلق فـيه من شـجـر وصـخـر وهضاب وتباب.. حتى إذا أراد الرجوع عرف الطريق:

- انتظرنى يا طاهر.. لا أستطيع اللحاق بك.

هكذا هو حـال الإنسـان.. كلما تقـدم الزمن كلمـا قلت وضعـفت لياقتـه البدنيـة بسبب الرفاهيـة والدعة

والكسل.. أما الإنسان الأول، فلم يكن لديه كل ذلك.. وكان رأسماله فى قوته.. وقدرته على الركض والعمل بيده.. أعمالاً لا يستطيع أقوى رجل فى زماننا أن يؤديها.. لذلك فالإنسان المعاصر عليه ممارسة الرياضة والتدريبات فى شبابه حتى يدخر القوة للرجولة ثم الشيخوخة.. فها هو مؤمن بعدما شعر بالإجهاد ولم يتمكن من الركض جاءته تدريباته السابقة.. القدرة على التحمل تتبعها مرحلة أخرى تسمى مرحلة الجلد.. وكلما كان التدريب عليها قويًا كلما أنقذت صاحبها عند الحاجة.. فهو ينتقل من التعب والإعياء إلى الجلد.. وهو قدرته على تحمل التعب لأقصى درجة ممكنة.. أخذ ينظم تنفسه وعيناه

لا تدعان طاهر حتى لا يغيب عنه.. وسيفه الذى كان خفيفًا فى ذراعه.. الآن أصبح ثقيلاً يود لو تخلص منه.. وبعدما كان يرتعد من شدة البرد.. أصبح يشع بالحرارة.

ولا يسمع الآز ت لهثه وشهيقه وزفيره بعدما كان لا يسمع إلا ير الريح.. عرقه ينهمر من جبينه ويتفجر سام جسده.. أصبح سعيداً مبتهجًا.. يتمنى لو ظل يركض طول الحياة.

ومضت عدة ساعات.. وطاهر يريد أن يسابق الزمن.. لإنقاذ حبيبته.. المرأة التى اختارها وأحبها وأحبته.. صراع بين النجاة والظلم.. بين النور والظلام.. ظلام شكشون الفاسق العربيد.

وفوجئ مؤمن بطاهر يسقط من الإعياء.. فوصل إليه يلهث، وانحنى عليه.. وأخذ يربت على كتفه العريضة ويقول:

- قم يا بطل.. أكمل .. أكمل.. هل اقتربنا أم مازال النهر بعيداً؟

قال طاهر وبخار الماء يخرج من أنفه وفمه كالتنين الغاضب:

- أمامنا الليل بطوله يا مؤمن.. وقد نصل.. وقد نصل إلى النهر فى الصباح.. لكن.. لكن يبدو أننى هالك يا صديقى.. لقد تعبت ولا أستطيع.

- ماذا تقول.. لن أدعك أبداً تيأس.. قم قم يا طاهر.

- لا أستطيع.. قواى كلها خارت.. تعبت تعبت.

- إذن.. لنأخذ قسطًا من الراحة.

واحتميا في تل، وكان طاهر ملقى على ظهره ينظر للسماء فاتحًا ذراعيه ورجليه كمن يستقبل الموت، فحاول مؤمن أن يهدئ من روعه:

- أتعرف لماذا تعبت يا طاهر.. طاهر.. اسمعني.. أتعرف لماذا تعبت؟

- لماذا؟.. لماذا يا مؤمن؟

- مع أن قوتك تفوق قوتي بمراحل عديدة.. لكنك لم تنظمها.. لذلك تبددت بسرعة.. مهما كانت قوتك صغيرة.. مع التنظيم يمكنك أن تستمر وتكمل، ولا يهمك إذا سقطت مرة ومرة.. ستتمكن من أن تعود للركض من جديد.. هه.. أفهمتني؟

- وكيف.. كيف أنظم قوتى؟

- لكى تجرى مسافة طويلة دون سقوط هكذا.. عليك أن تنظم الشهيق والزفير.. وتجعلهما على وتيرة واحدة.. أما أن تتنفس بعشوائية أثناء الجرى.. فهذا سيجعلك تقع يا صديقى.

- ابتسم طاهر ابتسامة مرهقة متعبة وقال:

- وهناك شيء آخر.. أن تظل بدون طعام مع كل هذا الجهد.

خبط مؤمن على رأسه وقال:

- الحق معك.. كان يجب أن أفكر فى هذا الأمر.. لماذا لم أدعك لطعام من المركبة؟!

- رأيته ولم أشأ أن أطلبه منك.

- آه.. يا لعزة نفسك وأخلاقك الرائعة.. مع كل هذا الجوع تأبى أن تسألني أن أعطيك.. إذن.. إذن.. أنا المسئول عن إطعامك يا طاهر.. ابق هنا.. لا تتحرك.. سأذهب وأبحث عن شيء أصطاده.

- في هذا الليل يا مؤمن؟.. إنه أمر شاق للغاية.

- دعك من هذا الكلام.. ما دمنا سنبقى هنا قليلاً.. فدعنا نحاول.. هه.

وفي هذا الطقس العاصف الذي لا يهدأ لدقيقة.. تحرك مؤمن وبيده سيفه وعلى ظهره القوس وفي جعبته السهام.. وتوغل في الصحراء المثلجة.. وتمنى لو عثر على الصيد المرغوب.. وسار فترة طويلة.. لم يعثر على شيء ولم ير أي شيء يتحرك أو يدب على قدميه..

ووقف حائرًا.. يجيل بصره فى الآفاق البعيدة التى يلفها الجليد الذى تَلُفُّه العاصفة وتمزجه بظلام الليل المخيف.

وشرد يفكر فى طاهر.. وسار للأمام ونسى أمر الصيد.. كأنه يتمشى ليرجع إلى البيت.. ونسى أنه يفصله عن بيته وعن أمه فى القاهرة.. ليست أميال شاسعة فحسب.. بل دهور طويلة.

وبينما هو كذلك.. إذ لمح قرونًا من بعيد وعرف أنه أمام الصيد.. أخرج السهم ووضعه فى القوس.. وتقدم بحذر.. وهو يتمنى ألا يكون ذلك المنظر لغصون أشجار قديمة.. كان قطيعًا من الأيائل.. له شكل مختلف عن أيائل القرن العشرين.. لكن ما يضير.. المهم أنها فى


الماموث الأول

النهاية تصلح للأكل.. كـان قطيعًا كبـيراً.. لو لم يحكم التنشـين وأطلق سـهـمًا عـشـوائيًـا فى اتجـاهه لكان من المحـتـمل إصـابة أحـدها.. وفـعلهـا.. وانـطلق السـهم ليصيب أحدها، ورأى القطيع يفـر هاربًا والصيد يسقط أرضًـا.. جرى وهو فـرح ليـحـصل على الآيل اللذيذ.. لكنـه.. سـمـع صـوتًا هادراً يأتى نـحـوه فـى الظلام.. تساءل.. أهو صـوت هروب القطيع.. أم انهيـار جبل أم زلزال.. الأرض تهتـز وهو يجرى عليـها ليـحصل على الصيـد.. لم يكف عن الجرى.. وهو متـعجب.. لكن لا شىء يثنيه عن التـقاط الآيل.. ولكن فجـأة رأى الحقيـقة المرعبـة.... وأدرك أن تسرّعه فى الحـصول على الصـيد سيودى بحياته.. إنه قطيع المأموث.. الفيل الأول..

لم يكن هناك أى متسع للفرار.. ليس هناك أى مكان للهرب.. القطيع يجرى.. يضرب بقدميه.. يفر.. أو يكر.. لم يكن يدرى.. وصدمه الفيل الأول.. فارتفع إلى السماء.. وهبط على ظهر فيل آخر.. وضربته الأفيال كأن فريقًا يركل كرة القدم.. لم يسقط على الأرض.. كأنها العناية الإلهية.. القطيع الكبير يتقدم.. وكلما سقط مؤمن صدمه فيل إلى أعلى.. يصرخ ويصرخ.. لكن فى النهاية وجد نفسه يسقط من شاهق إلى الأرض.. فغاب عن الوعى تمامًا.

وشعر طاهر بالقلق عندما تأخر وتأخر.. فسار يتبع آثار قدميه حتى عثر عليه فى آخر الأمر ملقى بجانب

الآيل.. الصيد.. حمله وأخذ يعمل على إعادته لوعيه.. وأفاق مؤمن وهو يتأوه.. كل جزء فى جسمه يؤلمه من الحادثة.. المباغتة، ولما رأى طاهر أمامه أخذ يضحك ويتألم:

- يا إلهى.. صدمتنى أفيال الماموث يا طاهر.. انظر إلى طعامنا.

ضحك طاهر وهو ينظر للآيل وقد مزقته الأفيال تحت أقدامها الغليظة وقال:

- وفرت علينا الفيلة مهمة تقطيع اللحم.. إنه جاهز للطهو يا مؤمن.

وبعد ساعة.. كانا يجلسان أمام النار يشويان اللحم ويهنآن بطعمه اللذيذ.

ولما أثقل الطعام معدتيهمـا.. ناما نومًا عميقًا.. وعند الفجر قام طاهر منتفـضًا وقد رأى البتراء فى المنام تنادى عليه وتستغيث به وهى تغرق فى محيط عميق:

- مؤمن.. مؤمن.. قم يا أخى.. سنعاود التحرك الآن.

وبرغم أنه كـان مـازال يشـعـر بالآلام فـى جـسـده والحـاجـة الماسة للنـوم، إلا أن واجب الأخوة ومـعـاونة المحـتاج.. وتفـريج كـربة الصـاحب.. وقـضـاء حـوائج الخلق والتى هى من شـيم الكرمـاء لديه ويتـمـتع بهـا.. جعله كـل ذلك ينتفض ويقف وهو يفـرك عينيـه ويقول وهو يتثاءب:

- هيا.. آه.. هيا يـا طاهر.. أنا مستعد لـلركض.. فقد.. آآآه.. هضمت الطعام.

- وبدأت المرحلة الثانية من الركض.. كان الاثنان يتقدمان والفجر يحاول أن يسبقهما إلى النهر.. لكنهما كانا أسرع منه.

وبعد عدة ساعات... وصلا إلى شاطئ النهر العريض.. الذى يضطرب فيه الماء بغضب.. كانا يلهثان وهما ينحنيان لأسفل من شدة الإعياء بينما عيناهما لا تدعان النظر إلى المانع المائى الخطير.. حمل مؤمن غصنًا من الأرض وألقاه فى الماء فحمله النهر مسافة بعيدة جداً فى لحظة:

- يا إلهى.. كيف سنعبره يا طاهر.. لو نزلنا الماء لأخذنا إلى مالا نعلمه!

- سأنزله.. انزله يا مؤمن.. لم أصل إليه ثم أعجز وأتراجع.. دعنى أنزل.

- إياك.. إياك أيها المغرور.. إن الطبيعة تهزم المغرورين.. هه.. يجب أن تعاملها بالعقل والحكمة، هيا ندعو الخالق سبحانه فهو يجيب دعوة المظلوم وينصره على الظالم.. أنت لا تعرف مدى ما وصل إليه الإنسان من التقدم والرخاء بسبب معاملته لمقاومة الطبيعة بالعلم والعقل.. يا إلهى..

- إذن أخبرنى.. كيف نعبر هذا النهر يا مؤمن.. لا وقت لدينا.. انقضى وقت طويل.. ومتى سأعيد البتراء.

- الله فى عوننا يا أخي.. وهو الولى الذى يتولى الصالحين ويخرجهم من الظلمات إلى النور..

- إذن فكر يا مؤمن.. فكر.. فكر فكر.

أخـذ مؤمن يدور حـول نفـسه.. ينظر لـلماء الهـائج تارة.. وإلى اليـابسـة تارة.. مـاذا يفعـل.. كيف العـبـور والماء يلتهم كل شيء يسـقط فيه.. وارتمى طاهر جـالساً في حالة من الإحباط ينظر للأفق وهو يقول:

- لو عبـرنا النهر.. سنجد شكشـون خلف الجبل البعـيد هناك.. أنا متأكد وعلى يقين من ذلك.

لم يرد عليه مـؤمن.. بل ظل يطوف بالأرض يفكر.. كان في هذه الظروف قديماً يبحـث عن النباتات الليفية ويجدلها ويصنع منها حبـلاً ويلقيه للبر الآخر إلى جذع شجـرة أو صخرة ناتئة ويعـبر به.. لكن كل ما حـوله ما هو إلا صحراء.. ولا توجد غير شجرة عملاقة من شجر الأرز.. تكاد تشق عنان السـمـاء بطولهـا.. وأوراقهـا لا

تصلح لأى شىء.. وجذوعها عالية جدًا.. ولا مسامير ولا أربطة، وعاد يسير فى طريق العودة.. لم يذكر شيئًا قد رآه.. فى الطريق يصلح لأى شىء.. إنها صحراء تغطيها الثلوج.. ولولا أن العاصفة قد هدأت فى الصباح لتعذر عليه حتى الوصول فى هذا الوقت القياسى.

وعاد يتشاور مع طاهر الذى كان لا يفكر إلا فى شىء واحد.. أن يلقى بنفسه فى الماء وليكن ما يكون:

- فكر يا طاهر.. لا تدع العواطف تهلكك.. فكر فالوقت محدود.. وأمامنا عمل شاق.

- فكر أنت يا مؤمن ودعنى وشأنى.. دعنى وشأنى.. كل شىء سيضيع.

لم يكن أمام مؤمن إلا الشجرة.. أخذ ينظر إليها وهى وحيدة متفردة فى المكان.. وقال فى نفسه.. مادمنا هنا أمام هذه الشجرة.. فإن لها حكمة.. حكمة أرادها الله وعلينا الاستفادة بها.. لكن كيف كيف.. وفجأة أومضت الفكرة فى رأسه فجرى إلى طاهر وقال له وهو يؤكد بلهجته الواثقة أنه قد وجد الحل:

- قم معى.. وجدت الوسيلة لعبور النهر.. هيا يا رجل.

- هه.. ماذا.. وجدت الوسيلة.. رائع يا مؤمن.. ما هى.

نظر مؤمن للشجرة العملاقة وقال له:

- لو نجحنا فى قطع هذه الشجرة لسقطت من تلقاء نفسها واعترضت النهر.. ونسير فوق جذعها إلى

الناحية الأخرى بسلام.. وها هو السيف هيا بنا... وسنعبر النهر بإذن الله.

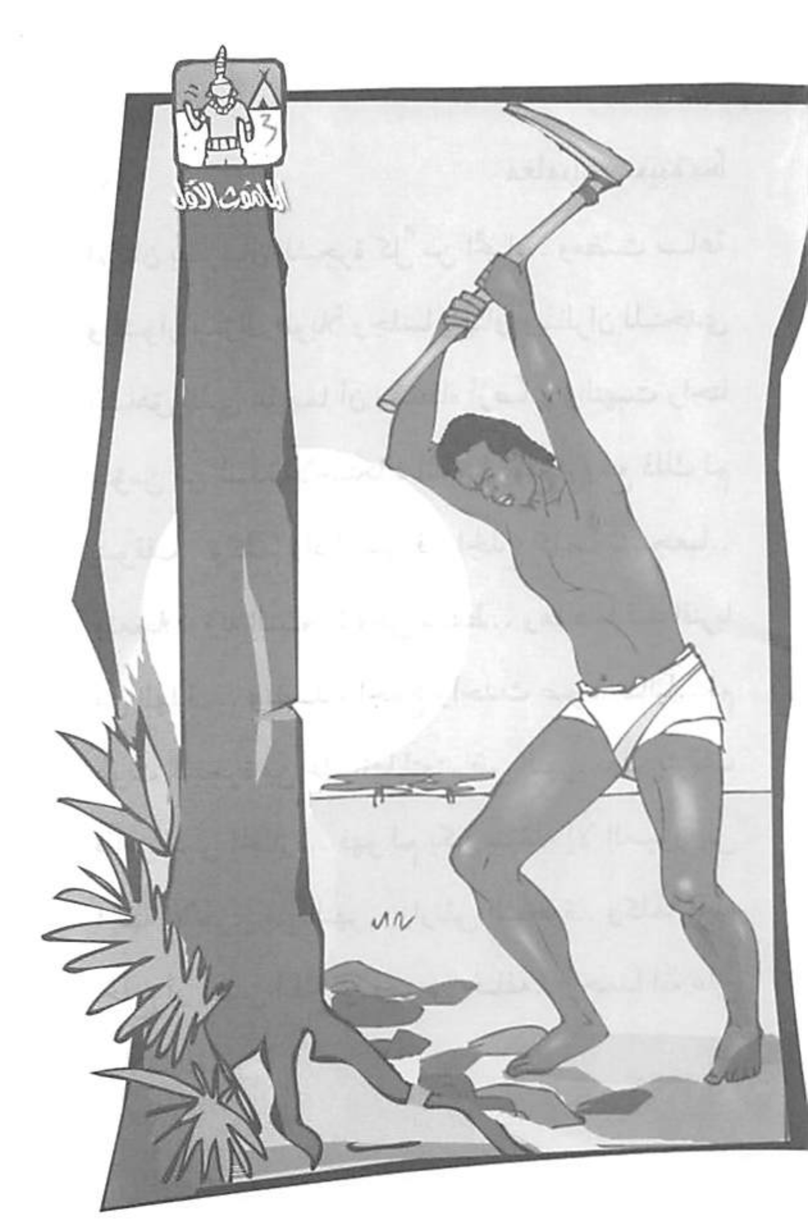
وظن مؤمن أن طاهر كان سيعترض لصعوبة هذا العمل.. فجذع الشجرة عريض جدًا.. وقطره يحتاج لجهد عدة رجال يتناوبون فى القطع.. لكنه فوجئ به وكأنه لم يشعر بذلك.. فقد حمل السيف بيديه.. وأخذ يضرب الشجرة ضربًا شديدًا وعنيفًا.. وبدون هوادة.. وكان مؤمن يعتقد أنه سيقع من الإجهاد بعد قليل.. لكن طاهر كان يضرب ويضرب حتى كاد السيف أن ينكسر.

- ليس لدينا غيره يا طاهر.. هذا السيف لا يجب أن ينكسر.

ولم يكد يتم كلمته حتى انحشر السيف، ولما أراد طاهر أن يخرجه.. كسره فسقط مؤمن على الأرض يأسًا.. لكن طاهر صاح فيه:

- مالك تبكى من أجل سيفك الواهن.. انتظرنى هنا.. وسأريك.

وجرى طاهر إلى صخور الشاطئ وأخذ يضرب قطعًا بقطع حتى حصل على شظية حادة كرأس البلطة.. ضرب بها جذعًا من الشجرة ثم ربطه بها وأخذ يقطع الشجرة بالبلطة الحجرية بفاعليه أكبر من السيف.. أما مؤمن فقد أعجبته الصنعة.. وأخذ يضرب الصخر بالصخر حتى استطاع فى النهاية أن يصنع واحدة مثلها.. ووقف فى الجهة المقابلة لطاهر.. وظلا هما


3
الماموث الأول

الاثنان يضربـان الشجرة كلٌ من اتجـاه.. ومضت سـاعة والمشوار مـازال طويلاً وجلسا يلهثان وينظران للـتحدى الشاهق الذى عليهما أن يسقطاه أرضًا.. والتهبت راحتا مـؤمن من شـدة الاحـتكاك أثناء الـقطع.. ومع ذلك لم يتـوقف.. وكلما زاد الـشق فى الجذع كلمـا تشـجعـا.. وتعجلا رؤية الشـجرة وهى تسقط.. وها هما قـد اقتربا من الهدف.. وتصـدع الجذع وأحدث صوتًا عـاليًا.. ثم هوت الشجرة من عليـائها لتعتـرض النهر.. ولم يتوقف طاهر ليرى إنجـازه.. فهو لم يكن يشغله إلا العـبور إلى الجهة الأخرى من النهر.. وارتقى الشجرة.. وكلما قابله جذع أو غصن أطاح به ومؤمن خـلفه.. وحمدا الله على سلامة العبور..

وأراد طاهر أن يتـابع الجرى نحـو الجبل إلاأن مـؤمن استوقفه:

- انتظر.. انتظر.. ماذا تنوى فعله.. يجب أن نفكر كيف سنواجه شكشون ورجاله.. كم عددهم.. وتسليحهم.

- لا.. سـأدخل معـسكرهم فـأقـتلهم جـميـعًـا وأرجع بالبتراء.

- تعقّل أيهـا المندفع.. الحمـاس شىء جمـيل.. لكن قد يدفع المرء إلى الهـلاك.. تمـهل.. لا يجب أن تقـتـحم المعسكر خلف الجبل هكذا.. بل نراقبه ثم نقرر ونحن نراقبـه.. ما الذى يمكننا فعله لاسـتعادة البتـراء.. ماذا قلت؟

وامـتـثل طـاهر لمؤمن وأحب أن يلجم مـن اندفـاعـه

ويحد من تهوره لكونه صديقًا نادرًا.. وتوجها إلى الجبل وكل منهما يحكم قبضته على البلطة.. لم يكن الجبل بعيدًا.. وتمنى مؤمن ألا يكون شكشون قد رحل من هنا أيضًا وإلا استحال تحقيق حلم طاهر.

وبعد الزحف على البطن والاختباء خلف الصخور.. ووضع أغصان الشجر الجاف على الرأس والظهر.. نجحا فى اعتلاء الجبل دون مشاكل.. ونظرا فإذا خيام شكشون فى السهل، ولم يظهر أن بالمعسكر حركة تذكر، فقد خرج مع رجاله العبيد وتركوا المخيم لبعض الحرس.

– ما هذا يا طاهر.. أين الرجال، إنهم مجرد خيام.. أين هم؟

- لا أدرى يا مؤمن.. هل ننزل.. أننزل؟

- اصبر يا طـاهر.. تمهل.. انتظر.. هناك بعض الرجال.. إنهم حراس خـيمة شكشون على مـا يبدو.. لكن أين بقية الرجال الذين حدثتنى عنهم.

- لا.. لا.. أنا لن أصبر.. لن أصبر أكثر من ذلك.

وجرى طاهر ملوحًا بالبلطة نحو المعسكر.. ولم يجد مؤمـن مفـرًا من النزول خلفه.. وعندمـا وقفـا فى وسط أرض المعسكر.. أثارا حـفيظة الحراس.. كانوا خـمسة.. فهاجموهما على الفـور يدافعون عن معسكرهم.. ودار قتـال عنيف.. الحراس بعصى كـالرماح.. فى طرف كل عصا نصل مدبب من الحجر مربوط بالأربطة المجدولة.. كان طاهر متـعجلاً وغاضبًا.. لذا فـقد أطاح بثلاثة منهم

فى لحظات.. وتمكن مـؤمن من واحـد.. وفـر الخـامس، وجرى طاهر إلى الخـيمة فـوجد البتـراء مقيـدة بداخلها وحدها.

وكان لقاءً مشحونًا بالعاطفة.. ها هو طاهر يا بتراء.. يسعى لأجلك مضـحيًا بحياتـه.. كان عند ظنك وحبك له.. ولأول وهلة لم تصـدق عـينيهـا.. وهو أيضًا لم يصدق أنه عـثر عليـها أخيـرًا.. وتأثر مؤمن بهـذا اللقاء ولكنه نبه طاهر قائلاً:

- هيا بنا يا طاهر.. احملهـا وهيا بنا.. هيا قبل أن يرجع رجال شكشون.

-إنه مــؤمن يا بتــراء.. صـديقى الـذى سـاعــدنى فى الوصول إليك.. إنه بارع مخلص كان يقول ذلك وهو

يحل قيودها.. ثم انطلقوا يدورون حول الجبل فى اتجاه النهر وهم يجدُّون ويسرعون بالجرى.. فلما وصلوا للنهر عبروا فوق الشجرة:

- طاهر.. يجب أن نزيح هذه الشجرة.. حتى لا يتمكن شكشون ورجاله من مطاردتنا.. أليس كذلك؟

وظل طاهر ومؤمن يحاولان زحزحة جذع الشجرة الذى كان بمثابة جسر على النهر لكنه لم يتزحزح قيد أنملة.. وخارت قواهما.. ونظر طاهر لعينى مؤمن وهو ينظر خلفه إلى هدف بعيد:

- ماذا بك يا مؤمن.. إلى أى شىء تنظر؟

- انظر خلفك يا طاهر.. انظر.

- آه.. إنه المأموث.

- ألا تخشى منه يا طاهر.. إن قطيعهم كاد يطيح بى أمس.

- مادامت البتراء معنا فلا تقلق.

نظر مؤمن للبتراء فوجدها تتجه نحو قطيع من المأموث كان يأتى بحذاء شط النهر فى هدوء شديد.. وهى أيضًا تقبل عليهم بهدوء شديد وثقة وصرخ مؤمن مذعوراً:

- طاهر.. امنع البتراء من هذه الحماقة.

ضحك طاهر وقال له:

- لا تخش عليها.. البتراء يا صديقى تعرف لغة المأموث.. وكلهم يحبونها حبًا جمًا حتى ولو كانت تقابلهم لأول مرة.


3
الماموث الأول

وأخذ مؤمن يتأمل الحوار العجيب بين البتراء والقطيع الذى توقف لها وكانت بينهم وبينها لغة ما.. وفوجئ بأن فيلين عملاقين خرجا وحدهما من وسط القطيع واتجها نحو طاهر:

- طاهر.. طاهر.. ما الذى يحدث.. أنا لا أفهم ما يجرى هنا.

وعادت البتراء وحدها إلى طاهر ومؤمن.

قال مؤمن: ينبغى أن نعمل على تعطيل شكشون ورجاله وإلا أدركونا.. ومن السهل أن يضربنا أحدهم بهذه السهام فنموت جميعًا.. فكر يا طاهر بسرعة.. فإن الوقت ليس فى صالحنا.. وظل مؤمن

وطاهر والبتراء يتضرعون إلى الله أن ينقذهم من هذا الظالم.. وهنا صاحت البتراء: لقد وجدت الحل..

وأشارت إلى الجبل.. كان شكشون ورجاله يهبطون من الجبل ويأتون جريًا من هناك بأيديهم الرماح ويصيحون صيحات عالية تهز الأرجاء:

- إنهم آتون يا طاهر.. هيا.. هيا.. هيا.. اركب أنت والبتراء.. وإلى تلك اللحظة الحاسمة كان تفكير طاهر أكثر عقلانية بعدما ارتاح فؤاده.. فحمل مؤمن بين ذراعيه ووضعه فوق فيل.. وقفز هو والبتراء على الفيل الآخر.

عبر شكشون برجاله فوق الجذع بالجياد العملاقة ذات الحوافر الخمسة.. حيث كان الحصان أيامها له فى القدم خمسة أصابع ثم تطورت حتى أصبحت أصبعًا واحدًا الآن.

وكانت المطاردة حامية.. وفوجئ شكشون بما لم يكن فى الحسبان، فقد قامت البتراء بعمل رائع... ذهبت إلى قطيع المأموث.. وتكلمت معهم.. فقد مر علينا أنها كانت تعرف لغة المأموث.. وطلبت من هذا القطيع أن يقف أمام شكشون ورجاله.. بل ويتم الهجوم على شكشون عند نزوله إلى اليابسة بعد عبوره النهر.. وقد قام المأموث بهذا الأمر أحسن قيام.. وهكذا تمت الخطة

بفضل الله، وتم إنقاذ البتراء من هذا المتكبر الظالم شكشون.. وهذا بفضل الالتجاء إلى الله والتضرع إليه سبحانه.

لم تستطع البتراء أن تكلم المأموث لأنه كان يجرى بسرعة هائلة.

كان مؤمن على فيله ينطلق بسرعة رهيبة وصاح فى طاهر وهما يندفعان:

- كيف حالك يا طاهر؟

- حمداً لله.. لقد غاب شكشون عن النظر.. لقد نجحنا يا مؤمن.

- إذن هل يمكن أن نتوقف قليلاً؟

- نعم.. يمكننا.

حاول طاهر أن يوقف الفيل ومؤمن أيضًا.. لكن الفيل لم يتوقف.. وكان موقفًا حرجًا.

وكان على البتراء.. الشابة الجميلة.. التى منحها الله معرفة لغة هذه الكائنات الضخمة.. وكان المأموث.. هو جد الفيل الحالى.. كان ضخمًا.. يكسو الشعر جسده.. شعر طويل منسدل.. أما نابا الفيل فكانا كبيرين وملتويين.. وخرطومه أقصر من خرطوم الفيل الحالى بشكل ملحوظ وتطور شكله عبر آلاف السنين حتى أصبح الفيل الذى نحبه ونزوره فى حديقة الحيوان..

- وما العمل.. ما العمل.. لقد اقتربت من موقع المركبة.. ويجب أن أنزل.. توقف أيها الفيل.. توقف توقف.. أرجوك..

ولم يتوقف الفيل.. ورغم ذلك.. أخذ مؤمن يضحك ويضحك.. وصاح فى طاهر:

- صديقى وقد تكون جدى.. لن أتمكن من معانقتك وتوديعك.. أنا مضطر للقفز.. إنى أرى المركبة من بعيد.

- إلى اللقاء يا مؤمن.. إلى اللقاء فى الجنة.. الوداع يا مؤمن.

وكانت نظرة أخيرة.. وتلويح من طاهر والبتراء لمؤمن وهو يقفز من فوق الفيل متدحرجًا إلى الأرض.. وبعد لحظات غاب طاهر والبتراء عن عينيه.

قام ينفض التراب عن نفسه وتوجه بهدوء إلى المركبة.. وفوجئ بالسماء تُظْلِم والرياح تهب عاصفة..

فقفز إلى المركبة وأغلق بابها.. وأدارها بسرعة وارتفع بها إلى أعلى.

كانت المركبة تصارع الأمطار وهو يرتفع بها أكثر فأكثر..

وإلى هنا تنفس الصعداء وحمد الله أن نجاهما..

واصطدمت به موجة عالية كادت تسقط المركبة.. فلما انحسر الماء عن نافذته.. رأى جوهرة تكاد تأخذ بالألباب قد حملها الماء فالتصقت بزجاج النافذة.

ابتسم مؤمن وقال فى نفسه:

- يجب أن تظلى ملتصقة بالزجاج حتى أرجع إلى زمنى الأصلى، وأدار جـهاز الزمن.. وانـطلق عائداً بعـد أن قام بأجمل مغامراته وهو يحمد الله تعالى.

تمت بحمد الله تعالى

